مصر وفلسطين

لأستاذ جليل

سمع الناس فى الخافقين منـذ أشهر كلمة مصر الإسلامية العربية فى (دار العصبة) فى شأن فلسطين وذلك التقسيم المقطّع الممزّق ، وتلوا فى هـذا اليوم كتاب رجال من (دار الندوة) ومجلس الشيوخ فيها إلى سفير الانكليز ، وفى الكتاب ما فيه . وهذه كلمة ذات زئير وتهيم قالتها مصر منـذ قرون حين سأل الغرب مثل الذى يبغيه اليوم . وقد رواها (صبح الأعشى) عن (التعريف بالمصطلح الشريف) ، وإنها لتنادى مفصحة مبينة على أن مصر هى مصر فى كل وقت ، وأنها لن تنام عن مظاهرة أخ فى الدين أو العربية مستطاعة . وفى رواية (التعريف) ألفاظ عامية لا تنحط بها قيمتها بل تفليها ؛ وإن كثيراً من الباحثين اليوم ليهتمون بالوقوف على مثلها . وهذه هى الطرفة التاريخية :

«قال فى« التعريف » : أما الرّيد فرنسى فلم يرد له إلا رسول واحد أبرق وأرعد ، وجاء يطلب بيت المقدس على أنه يفتح له ساحل قيسارية أو عسقلان ، ويكون للإسـلام بهما ولاة مع ولاته ، والبلاد مناصفة ومساجد المسلمين قائمة ، وإدارات قومتها دارّة ، على أنه يبذل مائتى ألف دينار تعجل وتحمل فى [كل] سنة ، نظير دخل [نصف] البلاد التى يتسلمها على معدل ثلاث سنين ، ويطرف فى كل سنة بغرائب التحف والهدايا . وحسّن هذا كُتّاب . . . . . كانوا صاروا رءوساً فى الدولة بعمائم بيض وسراويل سود ، وهم أعداء زرق ، يجرعون الموت الأحمر ، وعملوا على تمشية هذا القصد و إن سرى فى البدن هذا السم وتطلب له الدرياق فعز

وقالوا : هذا مال جليل معجل ؛ ثم ماذا عسى أن يكون منهم وهم نقطة فى بحر ، وحصاة فى دهناء ؟

قال : وبلغ هذا أبى رحمه الله فآلى أن يجاهر فى هـذا ، ويجاهد بما أمكنه ، ويدافع بمهما قدر عليه ، ولو لاوى السلطان على رأيه أن أصغى إلى أولئك الافكة ، وقال لى : تقوم معي وتتكلم ، ولو خضبت ثيابنا بالدم ، وأرسلنا قاضى القضاة القزويني الخطيب ، فأجاب وأجاد الاسـتعداد ، فلما بكرنا إلى الخدمة وحضرنا بين يدى السلطان بدار العدل ، تحضرت الرسل وكان بعض أولئك الكتبة حاضراً ، فاستعد لأن يتكلم ، وكذلك استعدينا نحن : فما استتم كلامهم حتى غضب السلطان وحمى غضبه ، وكاد يتضرم عليهم حطبه ، ويتعجل لهم عطبه ، وأسكت ذلك النافق بخزيته ، وسكتنا نحن اكتفاء بما بلغه السلطان مما رده بخيبته ، فصد ذلك الشيطان وكفى الله المؤمنين القتال ، وردت على راميها النصال ؛ وكان الذى قاله السلطان : وَالْكم أنتم عرفتم ما لقيتم نوبة دمياط من عسكر الملك الصالح ، وكانوا جماعة أكراد ملفقة مجمة ، وما كان بعد هؤلاء الترك ، وما كان يشغلنا عنكم إلا قتال التتر ، ونحن اليوم بحمد الله تعالى صلح (نحن وإياهم) من جنس واحد ما يتخلى بعضه عن بعض ، وما كنا نريد إلا الابتداء ؛ فأما الآن فتحصلوا وتعالوا وإن لم تجوا فنحن نجيكم ولو أننا نخوض البحر بالخيل ؛ وَالْكم صارت لكم ألسنة تذكرون بها القدس ؛ والله ما ينال أحد منكم منه ترابة إلا ما تسفيه الرياح عليه وهو مصلوب ! وصرخ فيهم صرخة زعزعت قوامهم ، وردهم أقبح رد ، ولم يقرأ لهم كتاباً ولا رد عليهم سوى هذا جواباً »

(الأسكندرية) (***)

تشاكريات

ديوان بالنثر الفنى . له مقدمة فى الأدب بين العلوم وتمهيد فى الشعر بين النظم والنثر

بقلم

عبد المجيد مصطفى خليل

يباع بخمسة قروش فى مكاتب النهضة والانجلو والمعارف بالقاهرة ، وفيكتوريا ومنير بالاسكندرية